المبحث الأول
مقدمة في تأريخ الطب العربي الإسلامي

عرف (طاش كبري زادة) الطب بأنه: ((علمٌ يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح وما يمرض، لحفظ الصحة وإزالة المرض.. أي بحفظ الصحة وإزالة المرض وموضوعه بدن الإنسان ن حيث الصحة والمرض ومنفعتهٌ لا تخفى وكفى بهذا العلم شرفاً وفخراً فول الإمام الشافعي: العلم علمان، علم الطب للأبدان، وعلم الفقه للأديان))[1]، وعرفة العلامة ابن خلدون بقوله: ((هو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، ويحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يختص كل عضو من أعضاء البدن، والأسباب التي ينشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجهِ))[2]

كان الطب من العلوم التي مارسها العرب منذ أقدم العصور لحاجتهم الماسة إليها في الحياة اليومية، وكانَ أغلب الطب الجاهلي متوارثاًعن مشايخ الحي وعجائزهٌ، وقد عُرِّفَ الطبٌ والكهانة منذٌ أقدم العصور الجاهلية على طريقة البداوة، فكانَ لكُلِ قبيلةٍ عَرّافها الذي يُستشار في كُلِ ما حَزَّ بِها من الامور ومنها العِلَلْ والشِكايات، وكان طب هؤلاءِ العرّافين يخلطونَ بينَ الرُّقى والتَبخير وتعاطي الأدوية التي تقتَرن بالعزائم والتعاويذ، ومع العرافينَ أطباءٌ مُختصونَ بالعلاج لايُزاولونَ الكَهانة، ولايُوحونَ على المريض بإسمِ الجِنِّ والأصنام، بل أطباءٌ يعالجونهم بالفصدِ والكي والحِجامة والحمية، وبعض الأعشاب الطبية التي تُنبتٌ في بلاد العرب[3].

وكانَ جُلِّ الطب العربي قبل الإسلام يعتمد على التجارب العلمية البسيطة وإستخدام العلاج بالسِحر والشعوَذة ونسبة الأمراض إلى الشَيّاطين وإستعمال التمائم والتعاويذ[4]، و ممارسة الطب لدى العرب كانَ بسيطاً وبدائياً يستند على المتعارف عليهِ من تناول المواد الخام القريبة من الأيدي كالأعشاب الصحراوية وأبوال الإبل[5].

أعتمد التداوي بصيغة أساسية على الكهانة والعرافة والزجر والتنجيم والسحر والطلسم، والرقى والتمائم،فضلاً عن إستخدام بعض العقاقر والنباتات و الأشربة كالعسل مثلاً، الذي كان الأساس في علاج أمراض البطن، واشتملَ أيضاً على بعض الجراحة البسيطة كالحجامة والفصد والكي[6].

---

(1)طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (968عـ/1561م) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ - 2010م، ص225.

(2)ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد(ت808هـ/1405م)، ص 463.

(3) العقاد، عباس محمود، أثر العرب في الحضارة الأوربية، الهيئة المصرية للكتاب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2002م، ص ص 33- 34.

(4) السرجاني، راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة إقرا للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1430هـ - 2009م، ص 27.

(5) السامرائي، كمال، مختصر تأريخ الطب العربي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، وزارةالثقافة والإعلام، العراق، سلسلة دراسات (355)، 1984م، ج1 ص230.

(6) احمد، احمد عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى(العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1411هـ / 1991م، ص 143؛ السامرائي، المرجع السابق، ج1 ص 230.

إنَ التطور الحضاري للعرب ساهم وبفضل الإسلام في بناء شخصية عربية إسلامية جديدة تطلب العلم و المعرفة، وتتطلع لإكتشاف الحقائق وفِهم تراث الامم الأخرى وإنجازاتِهم الحضارية، إذ انصهر هذا التراث مع معارفهم وإبداعاتهم لدعم الحضارة العربية الاسلامية الراقية في شتى ميادينها، وقد استعان علماء المسلمين بما تجمع لدى الأمم المتحضرة حولهم من علوم، فنهلوا الكثير من علماء اليونان، والرومان، والهنود، والفرس بعد ان إمتدَّ إلى الإضافة والتطوير على ما أخذوه[1]، ولهذا لم يكن العرب والمسلمين ناقلين العلوم الطبية عن هؤلاء بل كانت لهم اللمسات الخاصة والإضافات العلمية الدقيقة. وكان للاتصال أثره المهم في توسيع مدارك الأطباء العرب والمسلمين في مجال المعرفة والعلوم الطبية.

وأستفادَ بعض أطباء العصر الجاهلي من أسفارهم بين الشعوب المجاورة، فإطلعوا على طب الكلدانيين و الفرس و الروم، وبرعوا في مجال الطب العلاجي التجريبي، وعرفوا الجراحة والتجميل، ومداواة أمراض العين، والأسنان واللثة، وبعض الأمراض المعدية مثل الجرب والجُذام[2] وفي هذا حرص الأطباء العرب على تقديم النصح والإرشاد حول العادات الصحية وتأكيد الممارسات المتوازنة.

ولأهمية الطب عند العرب، فقد نال الأطباء في كل العصور التوقير والإحترام.

ومن أبرز أطباء تلكَ الفترة الحارث بن كلدة الثقفي (ت5.هـ/67.م)[3].

ومن النساء اللواتي إشتهرنَّ بالطب، وذاعَ صيتهنَّ، الطبيبة زينب الأودية[4].

واستمر الطب العربي منذ عصر صدر الإسلام بالنهج ذاته الذي سار عليه، من حيث تأكيد على الطب الوقائي والحرص على سلامة البدن، وبرزت في هذه الحقبة وصايا وتوجيهات، نبوية مباركة في وجوب العناية بالصحة العامة، تعارف عليها بالطب النبوي[5] وهو عبارة عن مجموعة من التوجيهات وإرشادات توكد على النظافة،وترغب بالعادات الصحية الصحيحة التي يجب أن يمتثلها المسلم، وهي من أوليات ما يتألفهُ المسلم كالوضوء اليومي

---

(1) مرحبا، محمد عبدالرحمن، المرجع في تأريخ العلوم عِندَ العرب، دار الجيل، بيروت، 1419هـ / 1998م، ص 277.

(2) فؤاد، أحمد باشا التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانتهُ في تأريخ العلم والحضارة، دار المعارف، القاهرة، 1403هـ / 1983م، ص 161.

(3)الحارث بن كلدة الثقفي: ابن عمرو بن علاج، وإسمهُ عمير بن أبي سلمى بن عبدالعزى بن غبرة بن عوف بن ثقيف، كان طبيب العرب، وكان النبي (صلى الله علي وآله وسلم) يأمر من كانت بهِ علة فيسأله عن علتهِ، تعلم الطب في اليمن وجند يسابور في الأحواز، أشتهر بالطب الوقائي وهو طبيبٌ مخضرم عاشَ الجاهلية، وأدرك النبي (صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم)، وأيام الخلفاء الراشدين، وكانت لهُ خبراتٌ وحكم طبية نالت الشهرة، وقد حضي بلقاء ملك الفرس كسرى أنو شيروان، ودارت بينهُ والملك حورات طبية طويلة، أثبت من خلالها عظمة الحكمة العربية أثبتها جميع مؤرخي التأريخ الطبي العربي، ونص المحاورات مثبتة عند صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
أنظر: ابن سعد الزهري، محمد بن بن منيع (ت 230هـ / 844م)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمير، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ / 2001م، ج8 ص 67 ؛ صاعد، طبقات الأمم، ص 47؛ عيون الأنباء، ص 161ص 163؛ ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرن الطبيب الملطي، تأريخ مختصر الدول، تحقيق، أنطوان صالحاني، دار الرائد اللبناني، ط3، 1315هـ - 1994م، ص 156.

(4) زينب الأوّدِية: طبيبة عربية، كانتْ عارفة بالأعمال الطبية، خبيرة بعلاج ومداواة العين ، مشهورة بين العرب بذلك أنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 181.

(5) دياب، مفتاح محمد، مقدمة في تأريخ العلوم في الحضارة العربية الإسلامية،، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس – ليبيا، 1992م، ص 239- 240 .

للصلاة وتنظيف الأسنان بإستعمال السواك وتنظيف البدن أسبوعياً، وقد بلغ عدد الأحاديث النبوية المباركة، في مجال التأكيد على المحافضة على الصحة، والأخذ بأسبابهٌ، والتأكيد على النظافة العامة للجسم والتي هي من أساسيات الصحة العامة، وكذلك التوجيهات الطبية في الوقاية من الأمراض، والترغيب فيها، بلغَ الثلاثمائة حديث[1] والتي منها قوله (صلى الله علية وآله وسلم)،في تشجيع المريض على التداوي وعدم اليأس بأخذ اسباب العلاج والطب عند أهل الصنعة، منها قوله ((أيها الناس، تداووا، فإن اللهَ لم يُنزل داءً إلا أنزل الدواء))[2]، وحديث، ((خمس من الفطرة: الاستحداد "أي حلق شعر العانة"، والختان، وقص الشارب، ونتف الابط، وتقليم الأظافر))[3].

نستنتج من الأحاديث النبوية السالفة امور مهمة جداً في الطب الوقائي الضروري في أهمية حقظ الصحة بنظافة بدن الإنسان من هذهِ الأمور وأهميتها في الصحة العامة، في الوقاية من الأمراض التي قد تصيبٌ الإنسان من خلال المنافذ التي ذكِرتْ سلفاً.

الطب في العصر الاموي فقد كان أكثر تطوراً مما سبقه نتيجة الاتصال والإنفتاح على المعارف الطبية الرومية والفارسية والهندية، ففي عهد معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ/ 661-680م)، الذي مل إلى توسيع بلاطه واستقبله العديد من الأدباء والعلماء ومنهم الأطباء وأغدق عليهم بالعطاء والبذل.

ومن الأطباء الذين لازموا بلاطه ابو الحكم الدمشقي[4]. الذي برع في مجال تركيب الأدوية وتشخيص الأمراض بدقة ومهارة، وكذلك برز في مجال تركيب الأدوية الطبيب ابن أثال النصراني[5]. إذ وضع هذا الطبيب خبرته ومهارته العالية في العلاج ونبوغه فيه وتفوقه على اقرانه حتى عد من ابرز اطباء الخليفة معاوية إذ اصطفاه لنفسه واحسن إليه [6].

وعني الامويون بالعلوم فقاموا بترجمة كتبها ولا سيما ما يتعلق بالطب والكيمياء وكان اول من بدأ بترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية هو الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (85 هـ/704 م) [7]، الذي

---

(1) أحمد، الحضارة الأسلامية، ص 144.

(2) ابو نعيم الأصفهاني، الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق (ت 430 هـ / 1038م)، موسوعة الطب النبوي، تحقيق، مصطفى خضر التركي، دار ابن حزم، بيروت، 1427 هـ - 2006م، ج1 ص 178؛ الحديث، أخرجه البيهقي، أبي بكر بن الحسين بن علي (ت458هـ)، الآداب، تحقيق مجدي منصور سيد، بيروت، 1325هـ -2004م، برقم 898، باب الرخصة بالتداوي، ص 272.

(3) الحديث، أخرجه البيهقي، المصدر السابق، برقم 723، باب الفطرة،، ص220.وغيره

(4) ابوالحكم الدمشقي: طبيبٌ وعلم بأنواع الأدوية والعلاجات، كان من أطباء معاوية بن أبي سفيان(41-60هـ/ 661-680م) وكان أيضاً طبيباً للوليد بن عبد الملك (96هـ/ 975م).
أنظر: القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف (ت646هـ/1248م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الأثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ب/ت ص 123؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 175- 176.

(5)ابن اثال النصراني: من الأطباء المتميزين، من نصارى دمشق، أصطفاهٌ معاوية بن أبي سفيان للتطبب لديهِ، كانَ خبراً بالأدوية المفردة والمركبة، وقواها وما فيها من السموم.
أنظر:ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 171- 172.

(6) السامرائي، مختصر تأريخ الطب العربي، ج1، ص301.

(7) خالد بن يزيد الأموي هو ابو هاشم بن يزيد بن معاوية الأموي، كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيماء والطب، وكان بصيراً بهذين العلمين، متقناً لهما، وله رسائل دالة على معرفتهٌ وبراعتهٌ، أخذ الصناعة من رجل يقال لهٌ مريانوس الرومي وله ثلاث رسائل منها ديوان النجوم وفروس الحكمة و رسالة في الصنعة الشريفة وخواصها، ورسالة في الكيمياء.

اجتمعت عنده الفصاحة، والشعر، والخطابة وحسن الرأي فسموه حكيم آل مروان، إذ قام بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان الموجودين في مصر، ممن يعرفون العربية في الوقت نفسه وقام هؤلاء بنقل كتب الطب خاصة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي فكان ذلك أول نقل حدث في الإسلام عن الامم الأخرى.

ولما إتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات الكبرى، وإختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى التي مرت بتجارب حضارية مختلف عبر عصور التأريخ، نتجَ عن ذلك الإتصال ظهور حضارة إسلامية راقية بلغت ذروتها في العصر العباسي الأول و العصر الأندلسي بعد ذلك، وإنتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة و إستيعاب العلوم القديمة، إلى مرحلة التأليف العلمي و الإبتكار الأصيل، وإجراء التجارب و البحوث و إستخلاص النتائج و القوانين على أساس المنهج العلمي التجريبي الذي تدين لهُ في التقدم العلمي الحديث والتكنلوجيا [1].

أنظر: ابن النديم، الفهرست، ص 544ص 545؛ صاعد، طبقات الامم، ص 48.؛ ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608- 681هـ /1211-1282م) فيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ب/ت، ج2 ص 232 ؛ سزكين، فؤاد، تأريخ التراث العربي، المجلد الرابع (السيمياء و الكيمياء و النبات و الفلاحة) ترجمه عن الالمانية محمود فهمي حجازي، أصدار جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السعودية، الرياض، 1411هـ -1991م، ص 179.

(1) فؤاد، أحمد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص 33.

وكان لتطور الطب في العهد لعباسي يعود للأسباب التالية:

منها تطوّر الحياة في العصر العباسي، وإنتشار الرخاء و الترف وتنوّع الحياة بإختلاطهم بغيرهم من الشعوب، وإزدياد المطرد للسكان أدى إلى الحاجة الملحة للطب وتطوير العلاج، تقريب العباسيين للأطباء وأجزلوا عليهم بالعطاء والتكريم، ودعت الحاجة لبناء المستشفيات الثابتة في المدن، وتجهيزها بما يلزم من الأطباء والأدوية والعقاقير الطبية اللازمة لعلاج المرضى، وتسيّير المستشفيات النقالة أو المتحركة إلى المناطق الموّبوئة والنائية أو لتيّسييرها مع الجنود خلال المعارك، وأطلاع العباسين على التراث العلمي والطبي لدى الامم الأخرى بواسطة النقل والترجمة[1].

وفي أيام الدولة العباسية تطور علم الطب كثيراً، بعد أن شجعت حركة الترجمة، وبروز العناصر الطبية العربية وغير العربية وكان هذا كله بدعم وتشجيع الخلفاء ومنهم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136 – 157هـ / 754 – 775م)، والذي عرف بحبه للعلوم وتوسعه فيها، وكذلك الخليفة العباسي المأمون (198 – 218هـ/ 813 – 828م) الذي عُرف بولعهِ بالعلومِ ولا سيما اليونانيةِ ومنها الطبْ، فإجتمعت الرغبة عند المنصور والمأمون فقاما بشراء المخطوطات اليونانية وحفظوها في المكتبة المعروفة بـ (بيت الحكمة) والتي أعتبرت من أعظم دور للعلم في بغداد، حيث حوت على عدد لا يحصى من نفائس الكتب ولاسيما الطبية مثل كتب ابقراط[2] وجالينوس [3]، وديسقوريدس[4].

---

(1) الحلو، عبدهُ، وآخرون، الوافي في تأريخ العلوم عند العرب،، دارالفكر اللبناني، بيروت، 1996، ص37.

(2) أبقراط: أو بقراط، ابن ايرقليس، ولد في قوص سنة (460 ق. م)، من تلاميذ اسقلبيوس الثاني، إنتهت إليهِ الرياسة في الطب بعد وفاة إستاذهُ، كانَ وحيد دهرهِ في الطب والفلسفة، وبلغ بهِ الأمر أن عَبدهُ الناس في أثينا، وصناعتهُ قائمة على القياس والتجربة، وكان أبوهُ طبيباً أيضاً، ساح كثيراً حتى كان إسقرارهُ الأخير في أثينا، وهو أول من نادى بعزل الطب عن السحر وأراجيف الكهان، فأحدث بذلك تطوراً مهماً في صناعة الطب، ولأجل ذلك عُدَ من أعظم الأطباء في التأريخ، وكن يعالج المرضى بالحسبة (بالمجان) وعاش خمس وتسعين سنة

أنظر: ابن النديم، الفهرست، ص 455؛ صاعد، طبقات الامم، 27ص؛ابن جلجل القرطبي، ابي داود سليمان بن حسان (ت377هـ/ 987م) طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص16ص17؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص43-44.

(3) جالينوس: ظهر جالينوس الطبيب، بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط واليهِ كانت الرياسة، تتلمذ على يد أرمنيس الرومي، وان الذي عُلم من حال جالينوس، وما أشتهر بهِ بين الامم، ابه كانَ خاتم الأطباء الكبار المعلمين، وهوَ ثامنهم، وانه لايدانيه في الطب أحد، فضلاً عن أن يساويهِ، وكانت مدة حياتهِ سبعاً وثمانية سنة.

ينظر: صاعد، طبقات الامم، ص28؛ القفطي، أخبار العلماء، ص ص85-86؛ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 109.

(4) ديسقوريدس: طبيب حشائشي مشهور من منطة عين زربة (من قرى تركيا الحالية)، ولد سنة(20م)، وكانَ بعد بقراط، إشتهر ديسقوريدس بعنايتهِ بالعقاقير المفردة

المستخرجة من النباتات والاعشاب الطبية، والتي دامَ على معرفته بها وجمعها ما يقارب الأربعين سنة، فجاءت موسوعتهُ في النباتات والأعشاب الطبية بما يقارب (600) نبات و (100) عقار، وألفَ كتاب المقلات الخمس (الحشائش)، التي لم يسبقهُ أحد الى أمثال ما وصل إليهِ، قال عن كتابهِ الطبيب الحكيم جالينوس (إني قد تصفحتُ أربعة عشر كتاباً في الأدوية المفردة، ولأقوامٍ شتى، فما رأيتُ فيها أتم من كتاب ديسقوريدس).

أنظر: ابن النديم، الفهرست، ص 462؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص 21؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 58 - 59.

ولبيت الحكمة أهميتها العظيمة في قيام النهضة العلمية التي كان لها تأثيرها الواسع على الحركة العلمية في شرق العالم الإسلامي وغربه ولاسيما في مجالات الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والفلسفة [1]، وأعتبرت بحق أول جامعة إسلامية يجتمع فيها العلماء والباحثون، وكذلك طلاب العلم،فكان أول مركز علمي يحقق للطلاب زاداً علمياً وفيراً، ويخرج لهم من جهد القائمين عليهِ ثقافة مختلفة الإتجاه تشمل الطب والفلسفة وغيرها [2]

وبهذا برزت الترجمة وظهر طبقة المترجمين الأوائل وكان لإستحدام المنهج العلمي التجريبي في الأبحاث الطبية في البحث أو التطبيق الذي كان محل التقدير والإعجاب كل المؤرخين الغربين. وكان أبدعهم في ترجمة الكتب الطبية، حنين بن اسحاق[3]. الذي أضطلع بمسؤولية الترجمة في بيت الحكمة وقد تعامل حنين مع النصوص الطبية القديمة بتصرف دقيق وحرفية عالية[4].

إن امتلاك العرب والمسلمين المخطوطات لأشهر المؤلفات اليونانية ولا سيما الطبية كان الحصول عليها من شروط الصلح مع الروم[5] وتم نقل العلوم اليونانية ولا سيما الطبية منها إلى اللغة العربية بأمر الخلفاء الأمويين والعباسين وخاصة في عهدي الرشيد والمأمون[6].

وينقسم الأطباء إزائها إلى مجموعتين[7] مجموعة الممارسين الذين إهتموا في المقام الأول بتشخيص المرض وعلاجه، معتمدين على المشاهدات والملاحظات، وتأتي الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذهِ الغاية، ويمثل هذهِ المجموعة الطبيب ابو بكر الرازي (ت320هـ/901م)، الذي كان رئيس البيمارستان في بغداد في عهد الخليفة العباسي المعتضد (289-279هـ/892-901م)، أما الفريق الثاني فهو فريق المدرسين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لا غنى عنهُ، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذي دفعهم إلى تحصيل الطب بإسلوب منطقي ولهذا أطلق عليهم " الفلاسفة الأطباء" ويمثلهم الطبيب الفيلسوف ابن سينا(ت428هـ/1036م)؛ وكلا الفريقين اتبع المنهج التجريبي، بصرف النظر كونه غاية او وسيلة[8]، وعن طريق الطب

---

(1)أبو عبية، الحضارة الإسلامية، ج1، ص ص45-46.

(2) شلبي، أحمد، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، موسوعة الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1994م، ج5، ص 189.

(3) حنين بن إسحاق: حنين بن إسحاق العِبادي، ويكنى أبا زيد، والعِباد نصارى الحيرة، وكانَ فاضِلاً في صناعة الطب، وخدم الخليفة المتوكل العباسي، تتلمذ على يد يوحنا بن ماسويه في الطب في بغداد، وكان شيخهٌ بتعلم العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكانَ فصيحاً باللغة اليونانيةِ والسريانية و العربية، دار البلاد في جمع الكتب القديمة، ودخل بلاد الروم، ولهٌ من الكتب التي ألفها سوى النقل ما نقل من كتب القدماء؛ كتاب احكام الإعراب على مذهب اليونانيين، مقالتان، وكتاب المسائل في الطب للمتعلمين، وزاد فيها تلميذهٌ حبيش الأعسم، كتاب الحمام، وكتاب اللبن، وكتاب الأغذية وكتاب علاج العين، وكتاب تقاسيم العين، وكتاب أدوية علل العين، وكتاب آلات الغذاء، وكتاب الأسنان واللثة، وكتاب في الباه، وغيرها من التصانيف الكثيرة.
نظر:ابن النديم، الفهرست، 463ص 464؛ القفطي، كتاب أخبار العلماء، ص117ص 118 ؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء الحكماء، ص 68- 69؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 257 -258.

(4) لاندو، روم، الإسلام والعرب،، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1962م، ص262.

(5) كفافي، محمد عبد السلام، الحضارة العربية، القاهرة، 1940 م، ص 50.

(6) السامرائي، مختصر تأريخ الطب العربي، ج1، ص134.

(7) فؤاد، التراث العلمي في الحضارة الإسلامية، ص172؛ شلبي، أحمد، تأريخ الطب في الإسلام، المكتبة الإسلامية لكل الأعمار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، رقم (53) 1978م، ص ص 25-26.

(8) أبو عبية، الحضارة الإسلامية، ج1 ص 382.

السريري أدرك هولاء الاطباء تأريخ المرض بتسجيل الملاحظات ونتائج الفحوص والمعاينة ومراقبة تغيراتها وأنها أمور لا يمكن الإستغناء عنها، وينقل عن الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة قوله: ((العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض، فعليك بالأشهر مما أجمع عليه، ودع الشاذ، وإقتصر على ما جربت))[1]، وإمعاناً من الأطباء المسلمين لأهمية الطريقة العلمية إلى جانب الدراسة النظرية في تعلم الطب والوصول إلى الحقائق العلمية فإنهم لم يكونوا ليسمحوا بممارسة الطب إلا بعد إجتياز إمتحان في كتب التخصص المعروفة للتأكد من سعة ثقافة الطلاب النظرية والعملية في مجال التخصص، للوثوق في مهارتهم ومقدرتهم على التشخيص والعلاج ومثال ذلك ما نقله ابن أبي أصيبعة: ((من أن الخليفة العباسي المقتدربالله(32-395.هـ/9.7-932م)،عهد في عام (319هـ/931م)إلى الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني البغدادي بإمتحان المتطبين في بغداد؛ أثر وفاة أحد المرضى نتيجة جهل أحد مدعي الطب وحدد لكل واحد منهم مايصلح له، وما يمكن أن يتصدى له وبلغ عددهم من جانبي بغداد ثمانمائة ونيفاً وستين رجلاً سوى من استغنى من محنتهِ " إختباره " بإشتهاره بالتقدم في صناعتهِ))[2]، وكذلك التخصص الطبي في فروع الطب، فقد كان هناك متخصصون في علاج الأمراض الباطنية ويسمون بـ (الطابعيون) ومختصون في العمليات الجراحية ويسمون بـ (الجرائحيون)، وأخرون مختصون في علاج العظام وتجبيرها ويسمون بـ (المجبرون)، كما وجد تخصص طب العيون وأمراضه، والذين عرفوا بـ (الكحالون)، وكذلك طب الأسنان وطب النساء وطب الأطفال والطب النفسي والعقلي [3]، ومن أعظم إنجازات المسلمين الحضارية في مجال الطب بناء البيمارستانات [4].

وأخيراً َتوّجَ الطب العربي بقمة إزدهاره وتقدمه وتطوره في الأندلس وعاصمتها قرطبة التي شهدت تطوراً ملحوظاً في النواحي العمرانية، والاجتماعية، والفكرية ولا سيما في عهدي الإمارة والخلافة خاصة إذ شهدت الأندلس فيها مدة الاستقرار، والأمن، ونشطت النفوس، وتفتحت الآمال، وأنصرف الراغبون في العلم إلى الدرس والتحصيل، وانتشرت حلقات الشيوخ، وكثرت الكتب في أيدي الناس حتى ظهر الفقيه، والشاعر، والأديب، والمهندس، والفلكي، والطبيب، وظهرت العقلية العلمية المتحضرة لدى الأندلسيين وقالوا في وَصفِ الأندلسيين كما بينه المقري بقوله: ((حسنٌ الهمةِ في المَلبَسَ والمَطعَمِ، والنظافةِ والطهارةِ، والحُبَّ للّهُوِ والغناء وتوليد اللحون، وحسن التدبير، والحرص على طلب العلم، وحب الحكمة والفلسفة والعدل))[5]

---

(1) عيون الأنباء، ص 173.
(2) م. ن، ص 438.
(3) أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 151ص 168.
(4) البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من(بيمار)بمعنى مرض و ستان بمعنى (مكان) او دار، فيكون معناها دار أو مكان المرضى، ثم اختصرت في الإستعمال فصارت (مارستان)، والبيمارستانات في الإسلام عبارة عن مستشفيات عامة تعالج فيه كافة الحالات المرضية وكافة الأمراض والعلل.
أنظر: عيسى، أحمد، تأريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، 1939م، ص 4؛ الهوني، فرج، تأريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، 1395هـ/1986م، ص 191.
(5) نفح الطيب، ج3 ص 150.

والحق ان الأندلسين كانوا يتمتعون بميلٍ شديد ورغبة نحو العلم والمعرفة حتى ان الرجل منهم كان ينفق كل ما عنده من مال ومتى عرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والاجلال ويشار اليه بالبنان، وكما أجّلَ الاندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الادب، وكان لكل هولاء القيادة والريادة في المجتمع الاندلسي، وامتازت علومهم بالموسوعية والشمول وذلك ان كل عالم منهم جمع اكثر من اختصاص فترى كل واحد منهم من سيرته انه كان فقيها وفيلسوفا طبيبا، من سمو منزلة الفقه وتالق مكانته ان صفته تطلق على النحوي واللغوي، لانها ارفع الصفات العلمية بين الناس [1] .

وكان للمسلمين دور كبير في مجال الطب، فدرسوا علوم الأولين خاصة اليونان، و ترجموا كتبهم إلى اللغة العربية، فعدلوا فيها و صححوا و أضافوا إلى الطب إضافات جديدة لم يسبقهم إليها أحد [2].

وتفيدنا المصادر التأريخية والجغرافية، وكتب الزراعة، من أن الأندلس شهدت نهضة زراعية في المحاصيل، وتنوعاً في المعادن المستخرجة من عموم الحواضر الأندلسية، والتي كثير منها أستعمِلَ في تحضير العقاقير التي لاقت إقبالاً في الأندلسِ وخارجها، فالساحل الأندلسي على البحر المتوسط كان مُغطى بالأشجار المثمرة من كل نوع، وفي منطقة (لشبونة)[3] وسواحل (غرناطة) إنتشر التين، وفي (شرَيش)[4] وإنتشر العنب والزيتون في مدن (قرطبة) و(إشبيلية)،والموز والتمر وقصب السكر في وسط الجنوب وساحلهُ، أما في هضبة البشرات والجبل الأسمر (Sierra Morena) وجبل الثلج (Sierta Nevada)، فكانت غنية بالكستناء والجوز والتوت، والقطنيات والحبوب على أنواعها، ولابد من ذكر الزعفران و الزنبق و الخزامي، و بعض الرياحين، وهذهِ كلها تستعمل أوراقها و أزهارها أو جذورها في تحضير العقاقير الطبية، ومن بين المعادن التي استعان بها الأندلسيون في تحضير الأدوية والعقاقير، نذكر حامض الكبريت، وسلفات النحاس، والحديد، وكربتوز الزئبق، والرصاص، والقصدير، وملح الطعام كلوريد الصوديوم [5].

أن الاتساع الذي بلغته الحضارة العربية، وتعدد مراكزها في المشرق والمغرب كان قد اسهم في بروز العديد من المبدعين في المجالات العلمية المختلفة، ولم يكن الإبداع محصوراً على جهة دون أخرى، بل الازدهار كان يشمل الدولة العربية الإسلامية كلها، وهذا ما تؤكده

---

(1) بعيون، اسهام العلماء، ص ص21-220.

(2) محاسنة، أضواء، ص 209.

(3) لشبونة: ويقال أُشبونة بالأندلس من كور باجة المختلطة بها وهي مدينة لأشبونة وتقع بغربي باجة وهي مدينة على سيف البحر، تتكسر أمواجه في أسواراها00 ومن مدينة لشبونة كان خروج المغامرين في ركوب بح الظلمات ليعرفوا مافيهِ وإلى أين إنتهاؤه.
أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ص16 - 17؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ج 5 ص 16.

(4) شريش: من كور شذونة بالأندلس، وهي على مقربة من البحر يجود زرعها ويكثر ريعها وبين المغرب والقبلة من شريش حصر روطة على شاطئ البحر بينهما ستة أميال، وهو موضع رباط ومقر الصالحين ومقصود الاقطار، وهي متوسطة وحصينة الجهان وقد أحاطت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة.
أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 102.

(5) Espagne Musulmane au xe sieécle,Paris1950,p.177. Levi Prevencal,L`

حالة التألق التي ظهرت في المغرب العربي والأندلس على حد سواء مع الحواضر المشرقية كدمشق، وبغداد، والري[1].

وكان في الأندلس من الإزدهار الحضاري والعلمي نظير ما كان في المشرق من التطور والازدهار سواء في العلوم الفكرية والعقلية لاسيما في ميدان الطب فكان هنالك الأطباء البارزون وكانت هنالك المستشفيات، والمستوصفات، والصيدليات، وقد تميز أطباء الأندلس الإسلامية ولا سيما أطباء قرطبة باهتمامهم الخاص بنوعين من فروع الطب هما دراسة (الأعشاب) وما يستخرج منها من الأدوية العلاجية وإجراء العمليات الجراحية إذ إن الطب الجراحي قد ظهر في ديار الأندلس في وقت مبكر قياساً الى غيره من فروع الطب الأخرى[2].

ومن دلائل النهوض العلمي في ميدان الطب في الأندلس، ونشاط علمائه، اَنَ كثير من الأطباء يمارسون هذهِ المهنة بصورة تشابه ما عليه حال الأطباء في هذا العصر، ميما يسمى بالعيادات الطبية التي يردها المرضى للعِلاج، فقدكانَ الطبيب الأندلسي ابن ملوكة النصراني[3] الذي إشتغل بمدواة المرضى وعِلاجهم بأن خصْصَ لذلك داراً يستقبل فيها المرضى ووضعَ على باب تلك الدارثلاثين كرسيّاً لجلوس المراجعين المرضى للعلاج [4].

ونستنتج مما سبق ذكره من أن الطب قد عرفَ لدى العرب وكان بسيطاً في بداياتهِ الأولى ثم تطوّر عبر مراحل عدة حسب حاجة المجتمع الجديد بعد مرحلة الفتوحات الكبرى وإستقرار الناس وتحقيق الأمن والرفاه ولاسيما في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية في العهد العباسي الذي تحقق فيهِ قفزة نوعية بعد ترجمة التراث الطبي القديم من مصادره اليونانية والفارسية والهندية مع بروز أطباء عباقرة ساهموا في التطور الطبي العربي الأسلامي فكثرت المؤلفات الطبية الراقية في شتى مجالات الطب وفروعاتهِ، ولم يقفوا عند الترجمة والتقليد فقط؛ بل أضافوا الكثير وأنتقدوا ما كان سائداًمن النظريات الطبية ووضعوا البدائل،كماعرفوا التخصص الطبي ومن مأثرهم إنشاء البيمارستنات (المشافي) وعلى أنواعها بشكل اكثر تطوراً وأقرب إلى وقتنا المعاصر،ولإتباعهم المنهج العلمي التجريبي القائم على المراقبة الملاحظة في الأبحاث الطبية و النظرية والعملية والتوصل لدقة الملاحظة وتدوينها،أثر بالغ في تكوين القانعة العلمية ورسوخها لدى الأندلسيين مما أدى إلى الإرتقاء والبنوغ في الطب وعلومهٌ و الذي كان محل التقدير والإعجاب من كل الغربين ممن قُدر لهم دراسة التراث العلمي ومنها الطبي العربي الإسلامي، الذي وصل إلى ذروة العطاء الحضاري المشرق في الأندلس،بما حققوه من إنجازات في كل مجالات الطب في القرون الوسطى في أوربا، حيث كانت اوربا في ظلمات الجهل والهمجية والتخلف، فجاء الإشراق الحضاري من بوابة الأندلس فأنارت أوربا المتعطشة للعلوم

---

(1) منتصر، عبد الحليم، تأريخ العلم ودور العلماء في تقدمهِ،، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ص ص 176- 177.

(2) الخطابي، الطب والأطباء فب الأندلس الغسلامية، ج1ص 23 ؛ ابو عبية، الحصارة الإسلامية، م2ص 949؛ بعيون، إسهام العلماء المسلمين، ص382.

(3) ابن ملوكة النصراني: هوَ طبيب من الأطباء، وكان في أخر ايام الأميرعبد اللهو أول عهدالأمير عبدالرحمن الناصِر، وكانَ يصنع بيدهِ، ويُقصد العروق، وكانَ على باب دارهِ ثلاثون كرسياً لقعود الناس المراجعين، كما في عصرنا في إنتظار المرضى في صالة المراجعين عند الاطباء.
أنظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص 97؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 486.

(4) البشري، الحياة العلمية، ص 328.

والمعرفة الضرورية لإحداث النهضة التي عُرفت بالنهضة الأوربة للإنعتاق من مخلفات القرون الوسطى الذي كان السمة البارزة لأوربا.